الباب الرابع

صوفية وفلاسفة شيعة تأثروا بالعناصر الأجنبية

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الاول

صوفية الشيعة

قدماء الصوفية وصلتهم بالتشيع

١. معروف الكرخي

هو مولى للإمام علي بن موسى الرضا، وقيل: إنه كان نصرانيًّا أو مندائيًّا، فأسلم على يد هذا الإمام. وقيل: إن معروف الكرخي قد قتل وكسرت أضلعه بسبب تزاحم الناس على باب الإمام علي بن موسى الرضا، وصلة الشيخ معروف الكرخي هذه بالإمام علي الرضا جعلت الصوفية ومن لهم هوى في التشيع يخضعون معروفًا لولاية هذا الإمام، وعن هذه الولاية تنتقل الأسرار الصوفية، فينسب لمعروف الكرخي الكثير من الكرامات والأدعية[١].

والحقيقة التي نراها راجحة أن تصوف معروف الكرخي لم يكن قد أخذه عن الإمام علي الرضا، بل بسبب أصل ديانته القديمة التي قيل: إنها نصرانية أو مندائية.

٢. ذو النون المصري

قيل: إنه من موالي قريش، وكان في مصر واشتغل في الكيمياء، يفتش عمَّا يسمى بإكسير الحياة وتحويل الأشياء الخسيسة إلى أشياء نفيسة، مثله مثل أبي حيّان الذي كان له صلة بالإمام جعفر الصادق، وَمِمّا نقل عن ذي النُّون من أفكار نراها ترجع إلى (كأس المحبة)، الذي يرمز إلى الباكوسية، وكان محله بالإسكندرية، ومما نقل من أقواله أن الأشياء لها ظاهر وباطن، والباطن يحتاج إلى الكشف، والكشف يتأتى عن النور المحمدي، وتنقل المصادر عدم التزام ذي النُّون بالفرائض الشرعية؛ لأن الصوفي الولي لا يحتاج إلى

(١) مصطفى كامل الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع.

جميع الفرائض، ويرى بعضهم أنه لا صلة لذي النون بالتشيع، إنما صلته ترجع في غالبها الى الفلسفة الأرسطية[١].

٣. الحسين بن منصور الحلاج

يعد الحلاج من أقطاب الصوفية ببغداد، وشهرته كانت بسبب محاكمته وقتله على آرائه في الحلول والتناسخ، وعلى ما ذكر من صلته بالشيعة الإسماعيلية الفاطمية في مصر، فقد اتهم في كونه مروجًا للأفكار الباطنية الإسماعيلية، وأهم آراء الحلاج ما يأتي:

١. نادى الحلاج بفكرة الحلول، وادعى حلول الخالق في جميع مخلوقاته، كما نادى بوحدة الوجود والشهود تبعًا لذلك، وله الأبيات الشعرية المشهورة التي تدل فيها على حلول الخالق فيه:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرته أبصرتني وإذا أبصرتني أبصرتنا

ونقل عنه أنه قال: «أنا الحق»، وفسرت هذه العبارة: أنا الله؛ لأنه يعني أن الله قد حل به.

وأصل الحلاج من بيضاء فارس، وكان جده مجوسيًّا، ونشأ بمدينة تستر بإيران، فصحب سهل بن عبدالله التستري، والشيخ الجنيد، وتأثر بأفكارهما.

٢. يرى الحلاج وصول الأولياء (الصوفية) إلى درجة العصمة، وأن لهم الشفاعة والقدرة على التأويل الباطني للوصول إلى الحقيقة.

٣. لقد تأثر الحلاج بكثير من الغلاة الشيعة: كأبي الخطاب. وقيل: إنه رحل إلى قم، واتصل ببعض علماء الإمامية: كابن بابويه القمي، وذكر أن آراءه لم تلق ترحيبًا من شيعة قم لغلوها، كما تأثر الحلاج بأفكار إخوان الصفا، خاصة ما تعلق منها بالمعاني الروحية الخفية في رسائلهم، وذكر أيضًا اهتمامه بآراء ابن حيّان في

(١) مصطفى كامل الشيبي: الصلة بين التصوف التشيع.

الكيمياء، ويرى كثير من الباحثين أن أفكار الحلاج مأخوذة عن النصرانية، التي تدعي حلول اللاهوت بالناسوت (جسد المسيح)[١].

٤. نسب إلى الحلاج قوله: إن الأولياء ومن تدرجوا في الصعود إلى مراتب النسك قد لا يحتاجون لأداء الفرائض كالحج، فيمكن في رأيه أن يقوم الشخص وهو في بيته حاملاً نية الحج مؤديًا واجباته وهو في بيته. وهذه بعض آراء الغلاة من الخطابية والإسماعيلية والقرامطة، ولعل القرامطة قد حققوا عمليًّا رأي الحلاج في عدم وجوب فريضة الحج عندهم، حينما قطعوا طريق الحج، وأوقفوا آداء المناسك، وأخذوا الحجر الأسود إلى ما يقرب من عشرين سنة.

وتبدو صلة الحلاج بصفته داعية إسماعيليًّا باطنيًّا واضحة في مراسلاته إلى بعض الرجال في خراسان، فكأنما يهيئ نفسه لأن يكون قطبًا من أقطاب الدولة الإسماعيلية الفاطمية.

٥. نقل عن الحلاج وهو في طريقه إلى القتل أن قال: إنه سيرجع بعد ثلاثين يومًا، وورد عند أصحاب الحلاج الادعاء برجوعه، وهذه الفكرة (الرجعة) تتكرر عند كثير من الفرق التي تأثرت بالنصرانية خاصة (فكرة رجوع المسيح بعد صلبه).

٤. محيي الدين ابن عربي

يُعدُّ ابن عربي من أهم أركان الفكر الصوفي الذي استعار من عناصر أجنبية خاصة من الديانات الفارسية القديمة والفلسفة اليونانية، وأهم آراء ابن عربي تتلخص فيما يأتي:

أولاً: وحدة الوجود

يرى ابن عربي أن الوجود وحدة واحدة متصلة بعضها ببعض عن طريق حلول الروح الإلهية في الموجودات، وهى الفكرة نفسها التي قال بها أيضًا الحلاج، وقد رأينا مدى علاقة هذه الفكرة بالتناسخ، وصلة كل ذلك بالديانات القديمة، وخاصة المجوسية حيث فصلنا ذلك في موضعه.

(١) محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٤٩٢/١)، دار الهجرة، الرياض، ١٩٩٦م.

ولد في إشبيلية بالأندلس سنة ٥٠٦هـ، وانتقل إلى المشرق ينشر أفكاره؛ فحبس في مصر، وبعد خروجه ذهب إلى الشام، وقد توفي بدمشق سنة (٦٣٨هـ)، وأهم كتابين لابن عربي هما (الفتوحات المكية) (وفصوص الحكم)، ففيهما شرح فكرته عن وحدة الوجود بعدة أقوال، منها ما استخدمه من ظاهر الحديث القدسي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي ورد في نصه: «....فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها....»[(١)].

فاتخذ ذلك حجة من أن الله يحل في محبيه، فيصبح الاثنان واحدًا، وذكر أيضًا أن الله «خلق الإنسان على صورته»، وقال أيضًا: «بل هو عين هويته وحقيقته»، والنص القائل: «إن الله خلق الإنسان على صورته» نص موجود عند اليهود في التوراة، تلقفه كثير من المشبهة: كأمثال هشام بن الحكم من الشيعة، واستخدمه الصوفية لإثبات فكرتهم في الاتحاد والوحدة[(٢)].

واستخدم ابن عربي أيضًا النص القرآني: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦، فيرى أن عين الداعي هو عين المجيب، أي: أن الله قد حل بالداعي.

ثانيًا: فكرة النور المحمدي

يرى أن الأولياء مخلوقين من نور محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قيل: إن ابن عربي وصل في هذه الفكرة من الغلو إلى درجة أنه يرى بلوغ الأولياء درجة الأنبياء عن طريق التجلي النوراني، ولهذا السبب قال ابن عربي بعصمة آل البيت، والنور المحمدي عند ابن عربي يشمل جميع الأولياء، سواء كانوا من آل البيت أو من غيرهم، ويدلل على ذلك بدخول الصحابي سلمان الفارسي بمثل هذا النور[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٥/٨ رقم٦٥٠٢).

(٢) انظر كتابنا: أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م. تقديس الأشخاص في الصوفية: مصدر سابق، (٥٢٦/١).

(٣) محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، (٥١٨/١)، الرياض، ١٩٩٦م، دار الهجرة.

ثالثًا: فكرة الأبدال والأوتار

يرى ابن عربي أن الأولياء هم (الصوفية) أوتار الأرض لا تقوم إلا بهم، وأن التصوف درجات، واخترع لنا الأقطاب، وهي من أعلى الدرجات التي يصلها الأولياء، حيث يحصل لهم الكشف عن المستور، وتتجلى لهم حقيقة بواطن الأمور.

٥. محمد بن المرتضى بن محمود المعروف (بالملا محسن الفيض الكاشاني، ت ١٠٩١)

وهو تلميذ المُلا صدرا الشيرازي السابق ذكره، وقد تأثر بأفكار ابن عربي وجمع بين التشيع والتصوف؛ ولذا أنكر عليه كثير من العلماء بعض أفكاره وشنعوا عليه، وربما كان ذلك لاعتقاده بفكرة وحدة الوجود التي تقول بها الصوفية خاصة ابن عربي، وقيل: إن له رسالة في وحدة الوجود. وقيل: إنه من الشيعة الأخبارية الذين يوثقون جميع الأحاديث المروية، كما ذكر له رأي في حلية الغناء[١].

له كتب كثيرة، أهمها كتاب (علم اليقين في أصول الدين) وله كتاب (الكلمات المكنونة في علوم أهل المعرفة) وله رسائل وجوابات كثيرة في مواضيع كلامية وفلسفية واعتقادية، وله كتاب (التذكرة) في الحكمة، وله كتب بالفارسية في التنجيم والفلك.

و من متصوفة الشيعة: المدرسة الحروفية

وهم الصوفية الذين شغلوا بتفسير الحروف والأعداد والإشارات، مستقين ذلك من حروف مفاتيح سُوَر بعض القرآن والأعداد المذكورة في بعض الآيات في مناسبات مختلفة كالعدد ٧ أو ١٢.

ونسب إلى محمد سهل بن هروف بن راهبون صاحب بيت الحكمة أيام المأمون أنه من أوائل من أشار إلى ذلك، واتخذ الحروف والأعداد والإشارات وسيلة وطريقة للتأويل حسب هوى كل فرقة، فبعضهم يزعم أنه يفتش عن اسم الله الأعظم، وبعضهم يفتش عن سنة ظهور المهدي المنتظر، وآخر يعلل سنة انتهاء دولة الإسلام، وهكذا كل فرقة اشتغلت

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص٥٢٣).

بمهمة، وقد عالج صوفية الشيعة أعداد الأفلاك مقارنة بعدد أئمتهم، كما فعل الشيعة الإسماعيلية في تفسيراتهم الباطنية للحروف والأعداد متكلمين عن الإمام علي رضي الله عنه مقارنين بين سنوات عمره أو حكمه أو عدد من أقواله، وبين عدد الملائكة، كما رمز بعض الصوفية إلى الحروف بمعاني استقرت عندهم: كحرف الألف الذي يرمز عندهم إلى الله، وعند آخرين يرمز له بحرف الهاء والواو (هو)، وقد شغل الحلاج بالإشارة التي استخدمها كثيرًا في كتابه الطواسين.

فذهب المفسرون مذاهب عدة في تأويلها، وقد أكثر ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية من الإشارة إلى تأويل بعض الحروف والأعداد بما يطابق هواه ورغبته، وربط ابن عربي بين الحروف وعدد صفات الخالق بالمخلوقات أو بأعداد المخلوقات التي تنتهى بوحدة الوجود برأيه، وارتباط ذلك عنده بفكرة الإنسان الكامل المتمثّلة بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالمسيح.

ومن أشهر صوفية الشيعة الحروفيين فضل الله الأسترابادي، فقد كان أيضًا شاعرًا، اعتنى بالحروف وإعدادها وما يرمز إليه كل حرف، وربط بينها وبين ولاية الإمام علي وصفاته وتفويض الأمور إليه.

ويبدو أن هنالك علاقة فكرية بين المدرسة الحروفية اليهودية التي ذكرناها سابقًا، والمدرسة الحروفية عند بعض الشيعة المتصوفة.

ومن أشهر الحروفيين الشيعة:

١. فضل الأسترابادي

ولد في رشوان سنة ٧٤٠هـ، وكان أبوه وجده صوفيين، وذكر أنه جاور في النجف مدة عشرين سنة، ويعد ممن نادوا بفكرة الاتحاد (مع الخالق)، اشتهر بالتأويل وتفسير الأحلام، وقرن نفسه بالنبي يوسف ومحمد والمسيح عليهم السلام.

ولنشأة أسترابادي بإيران أثر على أفكاره، فقد ادعى أنه المهدي المنتظر، وأسرَّ ذلك لمريديه، وجمع فضل الله بين الأفكار الشيعية والصوفية، فشبه نفسه بالمسيح، وأضفى على

نفسه صفات الألوهية وتنقل في بلاد فارس، فاشتهرت أفكاره الغالية إلى درجة محاولة محاكمته عدة مرات، وانتهى به الأمر إلى أن قتل بسبب آرائه[١].

وقد كتب فضل الله كتب عدة بالفارسية عن التصوف، بث فيها آراءه المتعلقة عن الاتحاد ووحدة الوجود وعصمة الأولياء، وتشبهه بأعمال المسيح ابن مريم، وادعائه المهدية؛ فكان من أهم كتبه (الجاودان نامه)، ويعني الخلود، كما له كتاب (محبة نامه).

٢. السيد نعمة الله الولي

وهو من صوفية الشيعة انتسب إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر، ولد في حلب ثم هاجر إلى إيران سنة ٧٣٠هـ تقريبًا، فكان في بلدة كرمان، حيث أنشأ طريقته الصوفية واتصل بالفرس مباشرة، وفي عهد الملك تيمور احتل نعمة الله مركزًا مرموقًا في سمرقند، ويذكر أن تيمور نفسه قد شجع العلويين أمثال نعمة الله، وقد اعتقد بفكرة الحلول، وادعى أنه صحب بمكة عبدالله اليافعي صحبة موسى لشعيب، وذكر الإنسان الكامل وسلاسل الأولياء، وبالغ في تعظيم شيوخ الصوفية حتى قرن الشيخ البسطامي بعلي بن أبي طالب، وله أشعار لا تخلو من الإشارات الحروفية الصوفية، ويعد نعمة الله شيعيًّا صوفيًّا معتدلًا، لا يشترك مع غلاة الشيعة بأي صفة من صفات تأليه الإمام علي أو تفويضه؛ ولذا فقد عده بعض الكتاب أنه من فقهاء الحنفية أو الشافعية المتصوفة بإيران، وقد توفي عن عمر طويل قارب المئة سنة، ويعد نعمة الله من كبار الصوفية الحروفيين العلويين، حيث ترأس جملة منهم، وقد أفاده سفره إلى الهند ومجاورته الملك أحمد شاه ملك الدكن، حيث أفاد حفيده فيما بعد من هذه الصِّلة.

ونود أن نشير إلى المؤثرات الفارسية والهندية التي تأثر بها نعمة الله، حيث كان يتقن لغة تلك الأمم، وقد اطلع على تراثها الفكري، فلا يبعد أن تكون عناصر من الديانة الهندوكية والفارسية القديمة قد تسربت إلى أفكاره الصوفية، خاصة ما تعلق منها بفكرة الحلول والتناسخ.

(١) مصطفى كامل الشيبي: الصِّلة بين التصوف والتشيع، (١٥٥/٢)، وما بعدها.

٣. أحمد بن فهد الحلي

ولد في الحلة سنة ٧٥٦هـ، تلقى علومه عن الشيخ علي بن الخازن الحائري تلميذ الشهيد الأول، وعن تلاميذ الحسن بن المطهر في الحلة، وفي هذه الحقبة انتعش التشيع في الحلة، وشجع الحكم المغولي نفوذ العلويين ونشاطهم السياسي والفكري، خاصة في الحلة، وله كتب كثيرة بفقه الشيعة، كتب بعضها في كربلاء، وشهد له جملة من مؤلفي الشيعة أنه كان صوفيًّا، منهم يوسف البحراني الذي ذكر له كتاب (التحصين وصفات العارفين)، وكتاب (عدة الداعي ونجاح الساعي) وفي المتحف البريطاني نسخة من كتابه التحصين وصفات العارفين.

وقد نسب أحمد بن فهد إلى الإمام الصادق وإلى الإمام الباقر أقوالاً تدل على الزهد والعزلة عن الناس كما هو شأن الصوفية، وأشار ابن فهد إلى أهمية الدعاء والذكر، وأنه يشفي المريض والمربوط، وخاصة في رأيه عند زيارة قبر الحسين والتبرك بطينته، وذكر أن لابن فهد رسالة أودعها لتلميذه يتنبأ فيها بظهور الشاه إسماعيل الصفوي، ومسألة التنبؤات أصبحت أمرًا شائعًا بين الصوفية، واستخدمت سياسيًّا، وقبل دخول معارك الجيوش ينشط هؤلاء لتحفيز الجنود على القتال والنصر على العدو. وفي تراث اليهود الكثير من التنبؤات فيما يسمى نبوءات دانيال.

وقد تأثر تلاميذه به، ولكنهم لم يسلكوا مسلكه في التشيع، بل غالوا فادعوا أن شيخهم هو باب الله، وزادوا على ذلك بأنه هو المهدى[١].

٤. محمد بن فلاح

هو تلميذ الشيخ أحمد بن فهد السابق ذكره، ويدعي أنه من النسب العلوي؛ ولذا فقد ادعى أنه هو المهدي المنتظر بعد اعتكافه وخلوته في مسجد الكوفة؛ ولذا فقد أفتى شيخه بقتله بسبب هذه الدعوة، وهرب ابن فلاح إلى البطائح (الأهوار في جنوب العراق).

(١) الشيبي: مصدر سابق، (ص ٢٥٧، ٢٩٠).

obeikan.com

وسمي بالمشعشع بسبب ما يدعي من معجزات وتخاريف للعامة، فاتسع نفوذه وأتباعه، فسموا بالمشعشعين، وذكر له كتاب (كلام المهدى)، كانت عند الشيخ الزنجاني نسخة منه، ونسب له أنه يزيد في بعض آيات القرآن الكريم ومثال على ذلك ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن: ١٧ - ١٨، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤، للإنسان وهكذا في مواقع كثيرة من هذا القبيل[1].

وكان هذا الشيخ نواة لحركة المشعشعين الغالية، التي اتسمت بالأخذ عن الصوفية ومبادئ الشيعة، وقد شنت حركة المشعشعين حملات على ما حولها، خاصة على الحلة ومنطقة ما يسمى الآن بعربستان، خاصة المناطق المجاورة للأهوار، وشاع بين صوفية المشعشعين دعوة المعجزات والكرامات والدخول في النار، وقد أثر هذا المسلك الصوفي في نشوء حركة السيد أحمد الرفاعي في هذه المنطقة، حيث ورثت الطريقة الرفاعية كثيرًا من أفكار وممارسات المشعشعين، فقد كانت بداية الطريقة الرفاعية في منطقة أم عبيدة في البطائح، التي كان أكثر سكانها من قبيلة بني أسد، ونسب لابن فلاح أقوال الغلاة في الإمام علي، وأن له صفة الألوهية، مما أغرى العامة على وصف المشعشعين بالغلو والمروق عن الدين، حيث أغرت دولة الصفويين بعض القوى للقضاء على دويلة المشعشعين برغم أن الطرفين يشتركان ويخرجان من منبع واحد، وهو التشيع.

٥. محمد بن عبدالله بن نور بخش

هو تلميذ الشيخ أحمد بن فهد الحلي، ويعد نموذجًا من الشيعة المتصوفة الفرس، تتركز اهتماماته بصفات الإمام علي شأنه شأن كثير من الصوفية العلويين، الذين انتشروا بفارس في هذه الحقبة. ودخلوا بأفكار الغلاة خاصة تلك المتعلقة بالولاية والإمام والعصمة وفكرة الاتحاد.

ولد بخش بفارس في قهستان سنة ٧٩٥هـ حفظ القرآن والتحق مريدًا للخواجة إسحاق الختلاني الصوفي، وادعى نور بخش أن نسبه علوي وأراد تجميع العلويين الصوفية بفارس

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص٣٤٦- ٣٦٩).

حوله، وتميز بلبس السواد، واتُهم بالاشتراك في ثورة الخواجة إسحاق الفاشلة، فنفي إلى هراة عاصمة التيموريين، فرحل إلى شيراز، وبعدها إلى البصرة، ثم النجف وكربلاء، ثم ذهب إلى كردستان، وادعى بالخلافة، وضرب نقودًا باسمه، فأحست بخطره الدولة التيمورية، فاعتقل وسيق إلى كرمان، وهناك أعلن توبته وتنازل عن ادعاءاته، وأخيرًا رحل إلى الري (طهران)، وفيها توفي؛ فقام أبناؤه بدعوة مريديه وخلافة عقائد أبيهم وخاصة ابنه الشاه بهاء الدين، وقاسم فيض بخش، وقد كتب الخواجة محمد بن الخواجة محمد السمرقندي كتابًا ضمنه آراء محمد نور بخش، واتسع انتشار أفكار بخش الممزوجة بين التشيع والصوفية، فسميت هذه الظاهرة النور بخشية، كما كتب محمد نور بخش كتابًا أسماه (الشجرة الوفية في ذكر المشايخ الصوفية)، كما كتب رسالة قصيرة بَيَّنَ فيها طريقته الصوفية كما كتب الرسالة المعراجية.

كما له الرسالة الاعتقادية، التي نشرتها مجلة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.

ومن الجدير بالذكر أن شيوخ الصوفية لهم اهتمامات كبيرة في مسألة الإسراء والمعراج إلى درجة أن بعضهم ادعاها لنفسه أو لشيخه، أو ادعى حصولها في أحلامه ومناماته، فعند بعضهم أن الأولياء من الصوفية قد يبلغون منزلة الأنبياء فيصلون في معراجهم إلى شجرة المنتهى، ومع اتساع حركة نور بخش بالسياسة، حيث ادعى الولاية والسلطان لنفسه، مستخدمًا النظريات الشيعية المتعلقة بولاية آل محمد التي جاءت من الأصلاب أو من الأجنة، فأدخل في هذه الدعوة رأيه بالتناسخ والحلول، لتثبيت حقه وسلطانه العلوى. وبعد ظهور الدولة الصفوية بإيران تشجعت العقائد النور بخشية خاصة زمن الشاه إسماعيل الصفوي فانتقل أثرها الى الهند.

٦. كمال الدين الحسين بن علي الواعظ الكاشفي ت ٩١٠هـ

ولد في بيني (سبرواز) بإيران، واشتهر بالوعظ المؤثر بالعامة صوتًا وتعبيرًا، ثم انتقل إلى نيسابور سنة ٨٦٠هـ، ثم انتقل إلى هراة مركز السلطة التيمورية، وفيها اشتغل بالتدريس والوعظ، ومع كونه صوفيًّا شيعيًّا لكنه كان معتدلاً في آرائه الشيعية، وبلغ اعتداله

إلى أن يعد فقيهًا حنفيًّا وصوفيًّا نقشبنديًّا، حيث كانت الطريقة النقشبندية تمثل صوفية السنة الأحناف، فقد جمع بين كثير من المتناقضات التي فيما يبدو في صالح السلطان التيموري وعامة الناس في تلك المنطقة، وله كتاب (هدية العارفين) في التصوف، وله رسالة في مقاتل أهل البيت، وله كتاب في محن الأنبياء وأئمة الشيعة، فصَّل فيه ما جرى على الأئمة من سجن وقتل، ركز فيه على واقعة كربلاء، وله كتاب الفتوة باللغة الفارسية، أوضح فيه فتوة الأنبياء، وقرنها بفتوة الإمام علي ناقلاً عبارة «لا فتى إلا علي ولا سيفًا إلا ذو الفقار»، ونقل عبارته المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مزج بين الفتوة التي قال بها بعض الصوفية وبين الفتيان من آل البيت الاثني عشر، خاصة الفتى المهدي المنتظر.

٧. صدر المتألهين الشيرازي

هو صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي المشهور بـ(الملا صدرا) أو بصدر المتألهين،. توفي في البصرة وهو في طريقه إلى الحج سنة ١٠٥٠هـ زمن الشاه عباس الصفوي.

تأثر بالفلسفة الإشراقية (فلسفة أفلوطين)، ولد في شيراز أيام الصفويين، ودرس على يد الشيخ البهائي ومحمد باقر الداماد، ومن أهم تلاميذه الفيض الكاشاني، ومن آثار الفلسفة الإشراقية، عليه أنه يقول بوحدة الوجود، وقد اعتزل الناس مدة طويلة في حياته كان لها أثر في تفكيره الصوفي المختلط والفلسفة الإشراقية.

له كتاب (مفاتيح الغيب) شرح فيه مفهوم العرفان الذي استبدل به الصوفية بكلمة الحكمة أو الفلسفة التي تبدو عند بعضهم مرفوضة بحكم تعاليم الإسلام، وكتابه (الأسفار) يوضح محاولة التوفيق بين التصوف تحت اسم العرفان وبين الفلسفة الإشراقية ورأيها في وحدة الوجود، فهو صاحب مدرسة جديدة، حاولت التوفيق بين الفلسفة والدين، كما يبدو أنه قد تأثر بآراء ابن عربي خاصة في الكشف والمعاد، وانتقد مسلك الفقهاء وخاصة فقهاء الشيعة، كما في رسالته (الواردات القلبية).

يعتقد الملا صدرا بوحدة الوجود المعروفة عند الصوفية والفلاسفة، وتأثر بها تلميذه (المُلا محسن الفيض)، وقد شنع عليه كثير من علماء الشيعة لهذا السبب، كما تعرض إلى فكرة الحركة والجوهر (الهيولي)، وشأنه شأن الفلاسفة والمتكلمين، ومن كتبه المشهورة كتاب (الأسفار الأربعة)، وحظي هذا الكتاب بعدة شروح، كما له كتاب (المبدأ والمعاد) وكتاب (الشواهد الربوبية) وكتاب (أسرار الآيات وأنوار البينات) وكتاب (المشاعر)، على الطريقة العرفانية، وكتاب (الحكمة العرشية)، على الطريقة العرفانية، وكتاب (شرح الهداية الأثرية) وكتاب (شرح إلهيات الشفاء)، وله رسالة في حدوث العالم، ورسالة اتصاف الماهية بالوجود، وله رسالة إكسير العارفين، وله رسالة في اتحاد العاقل والمعقول، وله كتاب (شرح الحكمة الإشراقية) للسهروردي، وله كتاب (شرح أصول الكافي) للكليني، وله تفسير غير كامل للقرآن.

٨. محمد باقر الحسيني الأسترابادي: المعروف بالداماد

نشأ بالنجف في العهد الصفوي، ويمت بصلة قرابة إلى الشيخ الكركي الذي كان ذَا حظوة عند الشاه طهماسب الصفوي، وقد تأثر الداماد بآراء الملا صدرا وبالفيض الكاشاني، واهتم بالحكمة الإشراقية، ومن كتبه (الغيبيات في الحكمة)، وكتاب (الأفق المبين في الحكمة الإلهية)، وكتاب (الإيضاءات والتشريفات في حدوث العالم وقدمه)، وله رسالة في حدوث العالم ذاتيًّا وقدمه زمانًا، انتقد فيها أفلاطون وانتصر لرأي أرسطو، وله رسالة في تحقيق مفهوم الوجود وكتاب (سدرة المنتهى)، وهذا الموضوع عادة ما يطرقه الصوفية مشتبهين بالإسراء والمعراج، الذي ربما ادّعاه بعض الصوفية في مناماتهم وأحلامهم، فوصفوه عند يقظتهم، وله أيضًا (نبراس الضياء) في تحقيق معنى الإبداء، وله شرح كتاب (الاستنباط)، لمحمد بن الحسن الطوسي.

مذهب الملامتية من الصوفية

نشأ هذا المذهب في نيسابور في نهاية القرن الثاني الهجري بمؤثرات قيل: إنها في البداية من صوفية البصرة: كإبراهيم بن أدهم ثم تلاميذه الذين نشروا مذهب الملامة والفتوة في نيسابور، ومنهم شقيق البلخي، والشيخ حاتم الأصم، وهو تلميذ البلخي، ومن

الملامتية في نيسابور الشيخ أبو حفص الحداد الملامتي والشيخ أحمد بن حرب (ت٢٣٤هـ)، والشيخ أحمد بن حضرويه (ت٢٤٠هـ)، والشيخ محمد بن فضل البلخي، ثم انتشرت فكرة الملامة عند كثير من الصوفية، وارتبط بعضها بفكرة الفتوة التي تبنتها كثير من فرق الصوفية: كالحشاشين، وبعض الملامتية سلكوا مسلك الزهد والتوكل لدرجة القعود وعدم الكسب، والمهم هو لوم النفس عما تكتسبه من آثام، فالملامة أول درجات التوبة من الذنب، وأهم أثر للملامتية هي رسالة كتبوها وقام بدراستها وترجمتها المستشرق (ريتشارد لون هارتمان).

ومن المعلوم أن الكلبيين قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، ويرى المستشرق (جولد زيهر) أن هناك علاقة فكرية بين الكلبيين وبين مذهب الملامتية من الصوفية.

وموضع لوم النفس في الفكر الإسلامي موضوع طويل، نشير في هذا المجال إلى حركة التوابين في الكوفة، وهم الذين لاموا أنفسهم على عدم نصرة سيدنا الحسين رضي الله عنه، فقاموا بثورة فاشلة. ولا يستبعد استمرار ملامة النفس على هذه المقتلة وانتقالها إلى بعض الصوفية، كما أن في المسيحية قد نشأت فرقة من الذين لاموا أنفسهم على عدم نصرة سيدنا المسيح وتعرضه للصلب، وظاهرة الملامة والتكفير عن الذنب ظاهرة بشرية موجودة في الديانات القديمة؛ فالبابليون في العراق كانوا يبكون في يوم تموز في معبد بابل كل سنة، ويرى الدكتور مصطفى الشيبي أن عزاء الحسين عند الشيعة وما يدور فيه من مظاهر اللطم والبكاء له صلة ببعض ما أوردناه من أفكار الملامتية[1].

(١) الدكتور أبو العلا عفيفي: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، (ص ٧- ٢٩- ٣٤)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

obeikan.com

الفصل الثاني

فلاسفة الشيعة الذين تأثروا بالعناصر الأجنبية

١. فلاسفة شيعة تأثروا بالفكر الهندي والفارسي القديم

إن من دوافع الغلو في مذهب الشيعة الإمامية ما سطروه ووضعوه على شكل روايات من الحديث منسوبة إلى أئمتهم، كانت فكرة الإمامة وصفات الإمام من أول اهتماماتهم، فوجدوا في المذاهب الدينية القديمة وخاصة المذاهب الهندية والفارسية (المجوسية) ما يعضد أهواءهم واحتياجاتهم ضد مخالفيهم، وأكثر الذين تجرؤوا على هذا العمل هم الغلاة من غير العرب، سواء أكانوا رواة أو علماء تَرَكُوا أثرًا في مؤلفاتهم، وقد أوضح نبيل الحيدري في كتابه (التشيع العربي والتشيع الفارسي) أن الغلو أكثره من فعل الفرس (المجوس)، وهذه النظرة تتطابق مع رأي أحمد الكاتب في كتابه (التشيع السياسي والتشيع الديني) مفرقًا بين ادعاء الغلاة في ألوهية الأئمة وصفاتهم بأنها ذات دوافع دينية ومفرقًا بين شيعة آخرين، وخاصة الأوائل الذين نظروا إلى فكرة الإمامة خاصة بأنها ذات دوافع سياسية فقط[١].

ومن فلاسفة الشيعة الذين تأثروا بالفكر الهندي والفارسي القديم:

١. الأمير أبو القاسم الحسيني الموسوي الفندرسكي، وصف بأنه حكيم صوفي وفيلسوف شيعي، عاش في عهد الشاه عباس الصفوي، وتوفي سنة ١٠٥٢هـ بأصفهان، له عدة كتب ورسائل بالفارسية، طبع بعضها في بومبي، منها (الرسالة الصناعية)، وله كتاب (شرح الجول) يشرح فيه الأفكار والديانات الهندية[٢].

---

(١) نبيل الحيدري: التشيع العربي والتشيع الفارسي، (ص٧١)، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٤م، أحمد الكاتب: التشيع السياسي والتشيع الديني، (ص٦٣)، دار مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٢) عبدالله نعمة الله: فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم، (ص١٠١)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٣٠م.

٢. أبو علي ابن مسكويه، ولد في الري حوالي سنة ٣٢٥هـ وتعلم اللغة البهلوية، وترجم منها إلى العربية كتاب في الأخلاق، قال ياقوت: إن مسكويه كان مجوسيًّا ثم أسلم، كان له اتصال بابن العميد وزير عضد الدولة البويهي، ففي عصره انتعش التشيع في البلاد، والتقى بابن سينا ببغداد، وكانت بينهما محاورات، واتُهم بعدم فهم بعض مقالات فلاسفة اليونان، واشتهر ابن مسكويه بكتابه (تجارب الأمم)، وفيه تسجيل معاصر لتاريخ الدولة البويهية، وله كتاب في الأخلاق ينحو فيه منحى الفلاسفة والصوفية، وله كتاب (جاويدان خَرد) بالفارسية (الحكمة الخالدة)، صرح بعصمة الأئمة: أئمة الشيعة في كتابه (الفوز الأصغر)، وعده أكثر مؤلفي كتب علم الرجال أنه من الشيعة، وَمِمّا كتبه في (جاويدان جرد) يتبن أن ابن مسكويه أخذ كثيرًا من الأفكار الهندية والمجوسية وقليلاً من الفلسفة اليونانية، التي لم يحسن فهمها، كما اتهمه بذلك ابن سينا وأبوحيان[1].

٣. آل نوبخت، كانوا على الديانة المجوسية، أسلم نوبخت وابنه سهل وخدموا الخليفة المنصور العباسي، وهم أسرة علم اشتهر منهم حسن وإسماعيل وسهل وسليمان وإسحاق وهارون ومحمد وعبدالله، اهتموا بالنقل والترجمة من الفارسية إلى العربية. ذكر آدم مِتز أن لآل نوبخت فضلاً في نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية، تأثر أكثر علماء آل نوبخت ببعض أفكار المعتزلة خاصة ما تعلق منها بإحباط الأعمال واستحالة ظهور المعجزة بالرغم من أنهم يعدون شيعة إمامية.

كما خالفوا أيضًا كثيرًا من معتقدات الشيعة الإمامية الغالية، خاصة ما تعلق بتحريف القرآن والمعجزات وغيرها.

و أهم الشخصيات العلمية في هذا البيت، هم:

أ. أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن أبي سهل النوبختي: له كتاب (الياقوت) في علم الكلام، وله كتاب (الابتهاج)، قال عنه آغا بزرك الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة): إنه في إثبات لذة النظر إلى الخالق

(١) فلاسفة الشبعة: مصدر سابق، (ص ١١٧).

سبحانه، وكان يقول بعصمة الأئمة، ومن آرائه: أن ماهية الخالق معلومة كوجوده، وأن المخالفين يخرجون من النار ولا يدخلون الجنة[١].

ب. أبو سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق: عرف عند الشيعة عنايته بعلم الكلام، وأورد بعض آرائه الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات)، له تلاميذ كثيرون من علماء الشيعة، ومن كتبه (الاستيفاء في الإمامة) و(التنبيه في الإمامة) وله رسائل كثيرة في الرد على كثير من علماء عصره، وأهم ردوده المتعلقة بالعقائد هي الرد على الغلاة، والرد على من قالوا بالقياس، والرد على اليهود، والرد على أبي العتاهية في التوحيد، والرد على أصحاب الصفات، والرد على الجبرية والمخلوقين والاستطاعة، وله ردود كثيرة على آراء ابن الرواندي الإلحادية، كما له كتاب في حدوث العالم، وهي قضية شغل بها الفلاسفة، وله كتب كثيرة ذكرنا أهم ما تعلق منها بالاعتقاد[٢].

ج. الحسن بن موسى النوبختي اعتبره علماء الرجال الشيعة من أبرز شيوخهم المتكلمين، ومن لهم عناية بالفكر والفلسفة، شهد آدم متز أن الحسن النوبختي من أوائل من نقل الفلسفة إلى العربية، توفي في حدود ٣١٠ هـ، له كتب كثيرة أهمها كتاب في (الاعتقاد والديانات)، وله كتاب (اختصار كتاب الكون والفساد) لأرسطو، وكتاب (الاستطاعة)، وكتاب (التوحيد وحدوث العلل)، وكتاب كبير (في الجزء الذي لا يتجزأ)، وكتاب (حجج طبيعية) مستخرجة من كتب أرسلوطاليس في الرد على من زعم أن الفلك مدى ناطق، وله كتاب مهم اسمه (فرق الشيعة)[٣].

والذي يتعمق بدراسة كتب ورسائل وردود الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان م ٤١٣هـ يجد التشابه الكبير بين عناوين تلك الرسائل أو الردود والنقائض مع ما كتبه وما نقل إلينا من تراث ضائع لأبي الحسن النوبختي، وأرجو يومًا أن ينبري أحد العلماء لإجلاء هذه الحقيقة، خاصة ونحن نملك

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص١٥٨).

(٢) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص١٦١).

(٣) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٦٧).

بين أيدينا بعضًا مما كتبه الشيخ المفيد، ولكن لا نملك سوى كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي.

د. أبو سهل الفضل بن سهل بن نوبخت، تولى للرشيد خزانة الكتب، وقام بالترجمة من الفارسية إلى العربية وكثيرًا من كتب الفلسفة والحكمة، ذكر له كتبًا عدة في الإمامة عند الشيعة والحكمة، ولكن اشتهر بالتنجيم، وتبدو أهمية الفضل في عنايته بكتب الترجمة من البهلوية التي يحسنها، فكان سببًا لنقله الفكر الفارسي إلى الفكر العربي والشيعي[١].

٢. فلاسفة وعلماء شيعة تأثروا بالفلسفة اليونانية

١. أبو زيد أحمد سهل البلخي

وهو من فلاسفة الشيعة وعلمائهم، الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية، وخاصة بآراء أرسطو، كما اشتهر بعلم الكلام وترجمة ونقل آراء أرسطو، ومدحه كثيرًا أبو حيّان التوحيدي، وقال عنه: إنه حجة خراسان، له كتب عدة منها كتاب (أقسام العلوم)، وكتاب (اختلاف الأمم)، وكتاب (نظم القرآن)، وكتاب (أخبار النبيين)، وكتاب (البدء والمآل).

ولد في بلخ وتوفي سنة ٣٢٢هـ، ويبدو أن له اتصالاً ببعض القرامطة والثانوية بإيران بالرغم مما اشتهر من اعتداله في تأويل القرآن.

وقد سافر إلى العراق وإلى الشام، وتتلمذ على يد أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، فأخذ عنه أفكار الفلاسفة اليونان، وذكر أنه روى أحاديث الشيعة عن محمد بن المفضل البلخي ومحمد بن أسلم، ومن تلاميذه أبو بكر الرازي الفيلسوف المشهور، وذكره أغابزرك الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة).

قال ابن النديم: إن البلخي اتهم بالإلحاد، وهي تهمة تعرض لها كثير من الفلاسفة والصوفية الشيعة[٢].

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٧٨).

(٢) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٠٢).

٢. ابن أبي جمهور الأحسائي

ولد في الأحساء سنة ٨٣٨هـ، درس على يد أبيه، ثم انتقل للدراسة في النجف على يد شرف الدين حسن بن عبدالكريم، كتب رسالة (زاد المسافرين في أصول الدين) وهو في طريقه إلى خراسان ثم شرحها فيما بعد، كما كتب في علم الكلام وله كتاب (المنجي من الظلام) احتوى على مفاهيم صوفية في الكشف والحكمة الإلهية، وقد أفاد ابن جمهور الأحسائي من آراء شيوخ الصوفية السابقين، مثل ابن عربي والحلاج وأبو يزيد البسطامي، وكما أفاد من الفلسفة اليونانية عن طريق معرفته بآراء ابن سينا والفارابي ونصير الدين الطوسي، وعلى هذا تبدو أفكاره خليطًا بين أفكار المتصوفة الشيعة وفلاسفة الإسلام، الذين أخذوا خاصة من الأفلاطونية المحدثة وعلى شاكلة الصوفية، اهتم ابن جمهور بالكلام على وحدانية الله، وعن هذه الوحدانية اتجه إلى فكرة الاتحاد عبر عنها باتحاد النفس بالعقل الفعّال، كما هو عند فلاسفة اليونان، وتعرض ابن جمهور إلى فكرة الإمامة، وقال بأهميتها عند الفلاسفة والصوفية والشيعة؛ لأنها مصدر انتظام وحدة الكون، وقال: إن الإمام عليًّا قد نصبه الله وأحاطه بالعصمة بصفته الإنسان الكامل في نظر الفلاسفة، يقوم مقام الرسول حتى في خلق آدم، وسلوك ابن جمهور هذا المسلك الفلسفي أغضب كثيرًا من علماء الشيعة، فنصحوا بتجنب بعض كتبه[1].

٣. جابر بن حيّان:

قيل: إنه من أصل عربي من الأزد، اشتهر بالكيمياء وتجاربه العلمية في محاولته لتحويل العناصر (الخسيسة) إلى عناصر ثمينة، وهي فكرة استوحاها عن الفلسفة اليونانية، كما كتب في علوم الصناعة والرياضيات، ونقل إلينا أن له كتبًا في الطب والفلسفة والمنطق، كما ذكر له مؤلفات في الزهد والوعظ، كان لها علاقة بصوفية عصره؛ ولذا ذكر ابن حيّان أن له علمًا بالباطن، وهي عبارة تدل على اهتمام المتصوفة في مباحث وحدة الوجود.

قيل: إنه ولد في طوس حوالي سنة ١٢٠هـ، أما سنة وفاته فمختلف فيها ما بين ١٥٩هـ- ١٩٨هـ، وذكر أن له اتصالاً بالبرامكة ببغداد، فلما نكبوا هرب إلى الكوفة، وذكر

(١) الشيبي: مصدر سابق، (ص ٣١٥)، فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١١٣).

احتمال اتصاله براهب يدعى حربي الحميري، وذكر أنه ترجم عدة كتب نقلت إليه زمن الرشيد من الآستانة، كما ذكر أنه تعلم من الإمام جعفر الصادق، واتُهم جابر بعلاقته بالإسماعيلية وعلاقته أيضًا بالقرامطة، ولكثرة ما نسب لجابر من كتب ورسائل قام بعضهم بإنكارها، وأنها ليست من تأليفه، كما اتهم بانتحال كتب ورسائل ليست له.

وله كتب مشهورة ومترجمة في علوم الكيمياء والحرف والرياضيات والشعر، أما ما تعلق منها بالفلسفة فله كتاب (الأسرار)، كما له كتاب (الشيعة)، وكتاب (الوجيه)، وكتاب (الروضة)، وكتاب (الايضاح)، وكتاب (مصححات سقراط)، و(مصححات أفلاطون)، وكتاب (الضمير)، كما له كتاب (الأركان الأربعة)، وله كتاب في (الصنعة الإلهية والحكمة والفلسفة)، كما له كتاب (الأبدال)، وله كتاب (السر المكتوم)، وكتاب (العوالم)، وكتاب (تحقق أفلاطون)، وكتاب (الحكمة المصونة)، وكتاب (اللاهوت)، وكتاب (شرك إقليدس)، وعمومًا فإن جابر يميل على الأكثر إلى المدرسة الفلسفية اليونانية خاصة الأفلاطونية المحدثة مع ميل نحو التصوف والتشيع الإسماعيلي[1].

٤. الحسن بن المطهر الحلي:

ولد في الحلة في العصر المغولي في وقت كانت الحلة مركزًا للتشيّع، فقد شجع المغول بعد إسلامهم انتشار التشيع، وقيل: إن حفيد هولاكو: محمد خدابنده الجايتو دخل في التشيع هو وقواته عام ٧٠٧هـ بأثر من ابن المطهر، حيث انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في زمانه.

كتب في علوم الشريعة والفقه والفلسفة والزهد، وتأثر بآراء نصير الدين الطوسي، وإن كان قد عارضه في بعض آرائه الواردة في كتاب (المباحث السنة في المعارضات النصيرية).

درس على يد والده وعلى الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الحلي، واشتغل بالتدريس مع خاله المشهور بالمحقق الحلي، ويعد نصير الدين الطوسي أستاذًا له في الفلسفة والحكمة، وله عدة كتب، من أهمها (شرح كتاب التجربة) لنصير الدين

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ١٨١-٢٣٠).

الطوسي، وله كتاب (المنهاج) الذي رد عليه ابن تيمية بكتاب (منهاج الصدق)، وله كتاب (كشف الفوائد)، وكتاب (تذكرة الفقاهة)، وكتاب (مختلف الشيعة)، وكتاب (خلاصة الأقوال)، وكتاب (نهج الحق)، وكتاب (القواعد في الفقه)، وكتاب (منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول)، وله كتاب (الأسرار الخفية في العلوم العقلية)، وكتاب (المقامات)، وكتاب (إيضاح التلبيس من كلام الرئيس: ابن سينا). وكتاب (تسليك النفس إلى حظيرة القدس). وكتاب (مراصد التوفيق ومقاصد التحقيق)[١].

٥. نصير الدين الطوسي:

هو محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي المعروف بالخواجة (وهو غير الطوسي تلميذ الشيخ المفيد)، ولد في طوس سنة ٥٩٧هـ، وتوفي في بغداد سنه ٦٧٣هـ، تتلمذ على يد الشيخ كمال الدين ميثم البحراني، والشيخ معين الدين المصري.

قيل: إنه كان على اتصال بالإسماعيلية، وأنه قد راسل هولاكو، وسهل له الدخول لغزو بغداد، ثم صار وزيرًا لهولاكو، اتصل بالمحقق الحلي متقربًا للتشيّع الإمامي، ثم انتقل إلى نيسابور، ودرس على جملة من علماء الشيعة، الذين كانوا يميلون للتصوف والتشيع[٢].

وقد هرب من نيسابور عند دخول جنكيزخان إليها والتجأ إلى قلعة الإسماعيلية، خاصة في قلعة ألموت، ولكنه اتصل بهولاكو حفيد جنكيزخان في مدينة همدان، بل قيل: إن الإسماعيلية قد أرغموه على الإقامة في تلك القلعة، وفيها كتب كثيرًا من كتبه في الفلسفة خاصةً.

وقيل: إنه كاتب ابن العلقمي (الشيعي) وزير الخليفة المستعصم ببغداد، وابن العلقمي هذا قام بمكاتبة هولاكو، وسهل له دخول بغداد، وإسقاط الدولة العباسية، ورافق نصير الدين الطوسي هولاكو ببغداد، ثم رافقه إلى حلب.

(١) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص ٢٤٢).

(٢) فلاسفة الشيعة: مصدر سابق، (ص٤٧٢).

كتب الطوسي في علوم الرياضيات والفلك والفلسفة وعلم الكلام، وأهم مؤلفاته هو كتاب (التجريد في الاعتقاد)، وهو في علم الكلام، وكتاب (شرح إشارات ابن سينا)، وله رسائل أكثرها بالفارسية والعربية، أغلبها في علم الرياضيات وعلم الكلام، وله شروح كثيرة على كتب من تقدمه.

٦. أبو يزيد البسطامي:

هو طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي المشهور بأبي يزيد توفي سنة ٢٦١هـ، وكان جده مجوسيًّا اشتهر بادعائه بالاستشعار الاتحاد بذات الله.

ركز البسطامي على فكرة الفناء والاستغراق بذات الله، وقيل: إنه من أوائل الصوفية، الذين أخذوا هذه الفكرة من صوفية الهند وما عليه المجوس من أفكار، متأثرين بذلك من الديانة الهندوكية والبوذية، ومما نقل عنه قوله: إن الله كان مرآتي، فأصبحت فيما بعد أنا المرآة. وقوله: «أنا والحق إنكار لتوحيد الحق»، وقوله: «إني عدم محض»[1]، وقد شهد الشيخ عبدالقادر السندي أن البسطامي بأقواله تلك قد خرج عن السنة.

علماء شيعة تأثروا بالنصرانية واليهودية والمجوسية

لقد استعرضنا في الباب الثالث من هذا الكتاب أثر الديانة النصرانية واليهودية والمجوسية على علماء الشيعة، الذين كتبوا وجمعوا الأحاديث في الكتب الأربعة المشهورة وكتب التفسير والفرق، كما نحيل القارئ إلى كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة)، ولكثرة هؤلاء العلماء وأسمائهم معروفة لا حاجة بنا هنا لتكرار ذكرها.

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: مصدر سابق، (٤٨٥/١).